المحور الأول

تجربة المسلمين التاريخية في مجال التعريب

تمهـــيد:

لاشك أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة كانا من أهم الدوافع التى دفعت المسلمين إلى حركة تعريب العلوم.

ذلك أن الإسلام دين يقوم على العلم والتعلم والتواصل الحضارى، لذا أمر اتباعه بالبحث الدءوب عن العلم النافع أيا كان مصدره، ويكفى في هذا المقام أن نشير إلى أن أول ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق كان توجيها إلهيا نحو العلم والقراءة حيث نزل قول الله تعالى ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾.

بل إن الإسلام قد جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة حيث دعا إلى العلم والتعلم في أكثر من سبعمائة وخمسين آية في كتاب الله.

ولم تكن توجيهات القرآن الكريم قاصرة على تحصيل العلم الدينى فقط بل كانت عامة وشاملة لكل مناطق المعرفة الإنسانية.

كما فتح لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باب البحث العلمى على مصراعية حيث قال في حديثه الشريف: «أنتم أعلم بأمور دنياكم».

وقال: «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى الناس بها».

وقال: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما فقد سلك طريقا إلى الجنة».

وهكذا جاءت كثير من التوجيهات النبوية التى دعت إلى تحصيل مطلق العلم النافع للإنسانية من أى مصدر من المصادر.

يتضح ذلك من موقف الرسول صلى الله عليه وسلم حيث أمر بتعلم اللغات الأجنبية، وحين استفاد من الأطباء الأجانب، وأخذ بأسلوب الفرس في القتال فأمر بحفر الخندق - كما يتضح من موقف عمر بن الخطاب الذى نقل عن الفرس تدوين الدواوين والتنظيم الإدارى وغير ذلك من المواقف الكثيرة التى استفاد فيها المسلمون من غيرهم[1].

وهكذا فمن منطلق اهتمام الإسلام بالعلم بمختلف فروعه، ومن منطلق تشوف المسلمين إلى المعرفة بطبعهم، ومن منطلق احتياجهم إلى كثير من العلوم التجريبية والعقلية والإدارية لتنظيم شئون حياتهم أقول من هذه المنطقات والدوافع، ظهرت في العالم الإسلامى حركة نشطة وجادة وهادفة لترجمة العلوم بمختلف فروعها وقد استمرت هذه الحركة ما يقرب من ثلاثمائة سنة من أوائل القرن الثانى الهجرى وحتى نهاية القرن الرابع. وهذا ما يدلنا على أن تلك الحركة لم تكن حركة بسيطة، بل كانت حركة شاملة أعد لها إعداد علمياً وأنفقت عليها الأموال الكثيرة وقد تم من خلالها تعريب كل ما وصلت إليه أيديهم من علوم فلسفية وتطبيقية.

ولم يكن النقل من لغة واحدة، بل كان من عدة لغات منها:

- اليونانية.
- السريانية.
- الفارسية.
- الهندية.

وغير ذلك من لغات العالم الحية في هذا الوقت.

وقد استعانت تلك الحركة برجال من مختلف الأجناس والأديان، استعانت بالمسلمين، كما استعانت بغير المسلمين الذى كانوا على علم بهذه اللغات.

---

(1) راجع ص ١٨ من التواصل الحضارى والحفاظ على الذتية للمؤلف.

البدايات الأولى لحركة الترجمة العامة:

ابتدأ أول نقل وتعريب في الإسلام في العهد الأموى، وذلك بفضل خالد بن يزيد بن معاوية، هذا الأمير الذى كان مولعا بالعلوم فنقل كتباً في الكيمياء من اللغة القبطية واللغة اليونانية إلى اللغة العربية، ثم جاء أبو جعفر المنصور فاتسعت دائرة الترجمة حيث أمر بترجمة كتاب اقليدس في الهندسة وبعض كتب الطبيعيات بالإضافة إلى بعض الكتب الفلسفية والأدبية مثل كتاب كليلة ودمنة الذى ترجمه ابن المقفع وهو رجل فارسى زرادشتى الأصل – ثم أعلن إسلامه واشتغل بالترجمة من اللغة السنكرتية والفهلوية والفارسية[٢].

وفي عهد المنصور ترجمت أيضا كثير من الكتب في الفلك.

وأما في عهد المأمون فقد نشطت حركة الترجمة العامة نشاطاً عظيماً، وشملت كتب الرياضيات والطبيعيات والمنطق[٣]، والأخلاق والإلهيات بل إن المأمون استغل الصلح بينه وبين الأمبراطور البيزنطى ميخائيل الثالث ففرض عليه أن يتنازل عن إحدى المكتبات الشهيرة في القسطنطينية وكان من بين ذخائرها كتاب بطليموس في الفلك فأمر المأمون بنقله إلى العربية بعد أن أرسل وفدا من خبراء الترجمة إلى تلك المكتبة فانتقوا منها ماشاءوا من الكتب العلمية والفلسفية وكان من أشهر الكتب التى ترجمت في هذا الدور: كتاب الحكم الذهبية لفيثاغورس، كتاب المجسطى الذى ترجم للمرة الثانية وكتب عديدة في الطب لابقراط وجالينوس وكتاب الجمهورية وكتاب النواميس وكلاهما لأفلاطون.

---

(٢) أوليرى – الفكر العربى ومكانته في التاريخ – ص ١٢٢ د. تمام حسين.

(٣) سوف يأتى لحركة ترجمة المنطق تفصيلا فيما بعد، وقد استفدناه من بحثنا «جهود المفكرين المسلمين في الرد على منطق اليونان» الذى نشر بعنوان «قصة الصراع» بين منطق اليونان ومنطق المسلمين.

ولعل أهم ما يميز حركة الترجمة في هذا العهد أن المأمون قد نظمها، وجعلها نشاطاً رسمياً، وصرف من أجلها الأموال الوافرة[٤].

بل إنه كان يعطى حنين بن اسحق وزن ماينقله من الكتب المترجمة ذهبا، بل كان المأمون نفسه يحث الناس على قراءة الكتب المترجمة، وكان المأمون قد قام بما هو أكثر من ذلك حيث أنشأ مؤسسة خاصة للعلوم والترجمة أطلق عليها اسم: بيت الحكمة ٢١٧هـ، ٨٣٢م[٥] الذى كان يشكل أكاديمية كبيرة ببغداد ونقل إليها ما وجده من كتب في أنقرة وعمورية وبلاد الروم التى فتحها المسلمون. وقلد عليها يوحنا بن ماسوية.

وفي خلافة المأمون وصل النشاط في هذه الأكاديمية ذروته حيث وقف عليها الأموال الطائلة وعين سهيل بن هارون مشرفاً عليها، واختار لها أفضل

---

(٤) وقد افتدى بالمأمون في ذلك العهد ومن بعده بكثير من كبار رجال الدولة وأغنيائها ومنهم محمد وأحمد والحسن أبناء موسى بن شاكر إذا قاموا بإيفاد الرسل على نفقتهم الخاصة وحنين بن اسحق إلى بلاد الروم فأتى لهم بطرائف الكتب وغرائب المصنفات في الهندسة والفلسفة والطب والموسيقى والحساب ويرى أنهم كانوا يعطون المترجمين الذين يعملون معهم خمسمائة دينار شهرياً تقول سجريد هونكه في كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب» «إن أبناء موسى بن شاكر قاموا بإيفاد الرسل على نفقتهم الخاصة إلى بلاد الروم بحثاً عن المخطوطات الفلسفية والفلكية والرياضية والطبية القديمة، ولم يتوانوا عن دفع المبالغ الطائلة لشراء الآثار اليونانية وحملها إلى بيتهم قرب باب التاج. وفي الدار التى قدمها لهم المتوكل على مقربة من قصره في سمراء كان يعمل دون إبطاء فريق من المترجمين من أنحاء البلاد. ولم ينفرد أبناء موسى بن شاكر بهذا بل حاكاهم في ذلك الوزراء والأمراء ومن أشهرهم الفتح بن خاقان ومحمد بن عبد الملك بن الزيات الوزيران في بلاط العباسيين – راجع ص ٢٤ وما بعدها من كتاب دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، شحادة الخورى سوريا ١٩٨٩م.

(٥) د. جميل صليبا – تاريخ الفلسفة العربية ص ٩٧.

المترجمين، فعمل فيها عدد كثير من المترجمين الذين نقلوا عن اللغة السريانية والفارسية والهندية والقبطية وأخذوا من كل أمة أفضل ما عندها، فأخذوا عن اليونان فلسفتهم وعلومهم وعن الهنود حسابهم ومن الفرس آدابهم ونظمهم الإدارية، بل وصل الاهتمام بالتعريب في هذا العصر إلى أن المترجمين بعد أن فرغوا من ترجمة كل ما وصلت إليه أيديهم انتقلوا إلى مرحلة هامة وهى المرحلة النقدية، حيث حاولوا ترجمة كثير من الكتب التى سبق ترجمتها وتصحيح ما وقع فيها من أخطاء في المراحل السابقة.

– عبد الله بن المقفع وهو من أشهر المترجمين والنقلة الذين عرفتهم حركة الترجمة، فقد كان كاتباً وأديباً من جهة – كما كان مترجماً وناقلاً من جهة ثانية، يقول ابن النديم «وعبد الله بن المقفع هو الذى نقل إلى العربية ما قد كانت الفرس في القديم قد نقلته من كتب الطب والمنطق إلى اللغة الفارسية[٦]، وقد اتسمت ترجماته بالدقة وجودة الأسلوب – وقد قام بترجمة أهم كتب المنطق، كما أنه ترجم أهم كتب الأدب الفارسى.

– الحجاج بن يوسف بن مطر وهو الذى نقل كتاب أصول الهندسة لأقليدس مرتين في زمن هارون الرشيد وفي زمن المأمون، كذلك كان له الفضل في ترجمة كتاب المجسطى لبطليموس.

– أبو يحى البطريق الذى ترجم كثيرا من المصنفات الطبية وبخاصة مصنفات أبقراط وجالينوس – كما نقل المقالات الأربعة لبطليموس.

– يحى بن البطريق وهو أحد المترجمين الذين ساهموا في عملية ازدهار الترجمة أيام المنصور وهو مترجم كتاب السماء والعالم وكتاب الحيوان والآثار العلوية لأرسطو.

---

(٦) الفهرست ص ٢٤٣.

- ومنهم اسحق بن حنين وهو الذى أعاد النظر في ترجمات أبيه فصححها ونقحها.

- ومنهم أبو بشر بن يونس الذى ترجم معظم كتب المنطق اليونانى.

- وجورجيس بن جبرائيل بن بختيشوع وقد ساهم في هذا المجال عن طريقين: الأول ما قام به من ترجمات لمجموعة من المصنفات الطبية اليونانية إلى العربية، والثانى ما نقله عن السريانية من كتب نقلت أولا إلى السريانية(٧).

وغير هؤلاء رجال كثيرون عملوا في ميدان الترجمة، كما كانت هناك مدارس متخصصة في الترجمة والعلم ومنها مدارس - الرها ونصيبين ومدرسة جند يسابور، ومدرسة حران وانطاكية ومدرسة الإسكندرية، ولقد كان لتلك المدارس الدور الرئيسي في ازدهار الحركة العلمية في العالم الإسلامي(٨).

طرق المترجمين في الترجمة:

إن هؤلاء المترجمين والنقلة لم يدونوا لنا مذهبهم في الترجمة، فلم يقل مثلاً حنين بن اسحق والاقسطا بن لوقا ولا غيرهم، كيف كانوا ينقلون هذه الكتب، ما هى طريقتهم وما هو مذهبهم، وما هى المشاكل التى واجهتهم.. ولكن الذين قاموا بفلسفة حركة الترجمة وبيان طرقها ومشكلاتها علماء آخرون جاءوا في العصور التالية كأبى عثمان الجاحظ في كتابه الحيوان،

(٧) ابن أبى أصيبعة - عيون الأبناء ج ٢ ص ١٧١.

(٨) راجع بالتفصيل - حركة الترجمة والنقل في المشرق الإسلامي - د. رشيد الجميلى - ص ١٠٧ - ١٤٣.

وصلاح الدين الصفدى وقد أشار صلاح الدين الصفدى إلى طريقتين من طرق الترجمة وهما:

١- أسلوب الترجمة الحرفية:

وهو الأسلوب الذى يقوم على ترجمة النص الأصلى بصورة حرفية وبمعنى أدق كلمة فكلمة حتى يأتى الناقل على الجملة كاملة فالكتاب بأكمله وهو على هذا المنوال.

ولهذه الطريقة عيوب أهمها:

- ضياع المعنى المقصود من الكتاب.
- انعدام الترابط بين الجمل والموضوعات.
- عدم وجود مرادف لبعض الكلمات الأجنبية في اللغة العربية فيضطر المترجم إلى وضع الكلمة كما هى إن خواص التراكيب والنسب الإسنادية لاتطابق نظيرها من لغة إلى أخرى دائما.
- وقد يقع الخلل من جهة استعمال المجازات والكنايات والاستعارات وهى موجودة في جميع اللغات.

وعلى الرغم من سلبيات هذا الأسلوب إلا أن بعض المترجمين اتبعوه في ترجماتهم ونقولهم ومن أشهرهم يوحنا بن البطريق وعبد المسيح بن ناعمة الحمصى.

٢- أسلوب الترجمة بالمعنى وهو يعتمد على المعنى الشامل لكل جملة في أى كتاب يراد ترجمته ومن ربط المعنى الكلى للجمل ببضعها مع بعض يتكون مضمون الكتاب، فالترجمة هنا تقوم على الجملة مجتمعة لا على الكلمة منفصلة عن أختها الكلمة التالية لها.

ويعتبر حنين بن اسحق هو أستاذ هذا الاتجاه.

يقول الصفدى «والطريق الثانى هو طريق حنين بن اسحق وهو الطريق المعنوى حيث يأتى المترجم إلى الجملة فيحصل معناها في ذهنه ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الألفاظ أو خلفتها[٩].

وإذا ما قارنا بين الطريقتين وجدنا أن الطريقة الأولى هى طريقة لغوية مدرسية تصلح لطالب اللفظ دون المعنى، وهى تحتاج إلى ترجمان للكشف عن المعانى الغامضة، كما أنها تفقد الناحية الأدبية والأسلوبية والإنسجام بين الألفاظ.

أما الطريقة الثانية فإنها ترسم المعانى رسماً صحيحاً وتنقلها بلغة سليمة فإذا قرأ المطالع فيها كتاباً معرباً فكأنه يقرأه عربياً لا أعجمياً.

وهناك أسلوب ثالث شاع بين المترجمين والنقلة وهو أسلوب التلخيص والاختصار الذى كان يلجأ إليه بعض المترجمين لإخفاء بعض الأفكار الخاصة بالمؤلف، أو محاولة إبراز اتجاهاتهم الخاصة، أو غير ذلك من الأسباب ومن أشهر المترجمين الذين ساروا على هذا الأسلوب عبد الله بن المقفع في بعض مترجماته[١٠].

هذا وقد عرف كثير من المترجمين الطرق العلمية الحديثة في الترجمة، كما سنوضحه فيما يأتى:

المسلمون الأوائل والطرق العلمية في الترجمة:

لقد عرف المسلمون الطرق العلمية في الترجمة، وحاولوا إيجاد المصطلح العلمى واتبعوا في ذلك الطرق التالية:

---

(٩) صلاح الدين الصفدى - شرح لامية المعجم ج ١ ص ٧٩.

(١٠) د. رشيد الجميلى - حركة الترجمة والنقل ص ٢٩.

١- تحوير المعنى اللغوى الأصلى للكلمة العربية وتضمينها المعنى العلمى الجديد.

٢- اشتقاق ألفاظ جديدة من أصول عربية أو معربة للدلالة على المعانى الجديدة.

٣- ترجمة كلمات أعجمية بمعانيها.

٤- تعريب كلمات أعجمية وعدها صحيحة بعد اخضاعها للقالب العربى(١١).

كما كان المترجمون يعيدون ترجمة الكتاب الواحد عدة مرات وكانوا يصححون الترجمات القديمة على نصوص يونانية مختلفة ويقابلون بين الترجمات والمخطوطات الأصلية ويدونون الفروق بينها.

- كذلك كان كثير من المترجمين من ذوى الإطلاع الواسع الذى يمكنهم من فهم واستيعاب ما يترجم.

وهكذا أدرك المترجمون العرب أنه لايمكن أن تنجح عملية الترجمة إذا وقفت عند حد الترجمة الحرفية الخارجية - بمعنى عدم انخراط المترجم فى عمق الفكر الذى يترجمه، وأنه ينبغى أن يكون المترجم كالمؤلف واسع الاطلاع وقادر على فهم أدق النظريات والمصطلحات العلمية وإلا فإن ترجمته سوف تفشل حتى ولو كان من أكبر الضالعين في اللغتين المترجم عنها والمترجم إليها.

وقد فهم هذه الحقيقة كبار المترجمين في عصر الترجمة كحنين بن اسحق الذى سبق أن تحدثنا عن طريقته.

فهذا المترجم العظيم كان يعتبر أن ترجمة نص واحد لمفكر واحد كانت تضطره للاطلاع على كل ما كتبه هذا المفكر - قبل أن يقوم بعملية الترجمة.

---

(١١) شحادة الخورى ص ٢٨ مرجع سابق.

والسبب في ذلك أنه يريد أن يقبض على روح النص، وليس فقط على شكله وقالبه الخارجي، وهذا ما ينص عليه المبدأ لعلم الترجمة المعاصر حيث يقول:

«ينبغي على النص المترجم أن يبدو وكأنه غير مترجم، أي وكأنه قد كتب في اللغة المترجم إليها مباشرة»(١٢).

عوامل ازدهار حركة الترجمة:

لعلنا من خلال ماتقدم نستطيع أن نجرد العوامل الأساسية في ازدهار حركة الترجمة وأهمها:

١- توجيهات الكتاب والسنة نحو تحصيل العلم والمعرفة من مختلف منابعها وآفاقها.
٢- رعاية الحكام للترجمة والتعريب حيث رأينا جهود الرشيد والمنصور والمأمون ودعمهم المادى والمعنوى لحركة الترجمة مما كان سبباً أساسياً من أسباب نجاحها وتقدمها وتحقيقها للنتائج المرجوة منها.
٣- يضاف إلى ذلك اهتمام الأعيان والأغنياء بحركة الترجمة، كما فعل أبناء موسى بن شاكر وآل نوبخت والأسرة البرمكية وغيرهم.
٤- اهتمام الوزراء والمسئولين في الدولة بهذا الأمر ومنهم خالد البرمكى وزير الخليفة هارون الرشيد وغيره الكثيرون.
٥- يضاف إلى ذلك حاجة العرب إلى تراث الحضارات القديمة وما عند الأمم الأخرى التى سبقتهم في ميدان الحضارة، وخصوصاً في ميدان

(١٢) د. هاشم صالح - مقدمة ترجمة لكتاب - محمد أركون - أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ص ٦

العلوم التجريبية ومن هنا كان أول ما نقل من العلوم الأجنبية علم الطب والهندسة والفلك.

٦- وجود طبقات هائلة من المترجمين من جنسيات مختلفة، وأديان مختلفة فكان منهم العربي والفارسي والهندى وهناك المسلم والمسيحى والمجوسى، ولقد اختلف هؤلاء جميعا من نواحى عدة سواء في معرفتهم اللغات التى يتقنها كل واحد منهم، أو ثقافتهم واطلاعهم، مما أثرى حركة الترجمة وجعلها حركة متكاملة.

٧- اختراع العرب لصناعة الورق، مما يسر حركة الترجمة والتأليف ونقل الكتب، ويعد اختراع الورق من أجل النعم التى اسبغتها الحضارة الإسلامية على العالم(١٣).

٨- اللغة العربية:

ونحن نتكلم عن عوامل ازدهار حركة الترجمة ينبغى ألا ننسى الوعاء الأساسى الذى أستوعب هذه الحركة وهو اللغة العربية.

لغة القرآن الكريم التى استوعبت كل هذه العلوم بكل يسر، فمما يسر أمر الترجمة مرونة اللغة العربية، وثراء لفظها ومعانيها، وكثرة مترادفاتها، وقدراتها على التعبير.

ولا أدل على مرونة اللغة العربية وقدرتها على التعبير العلمى من أن العرب عندما بدأوا حركة الترجمة من اليونانية أخذوا كثيراً من المصطلحات اليونانية بألفاظها العربية، فقالوا: أنا لوطيقا، وسوفسطيقا،

---

(١٣) كانت صناعة الورق معروفة منذ القديم في بلاد الصين والشرق الأقصى وكانت تصنع سجية من الكتان والحرير، إلا أن المسلمين صنعوه من شيء آخر هو (الكاغن) مما ساعد على انتشار صناعته بعد ذلك - راجع ص ٤٤ من كتاب حركة الترجمة والنقل في المشرق الإسلامي د. رشيد الجميلى.

وقاطغورياس – ولكنهم سرعان ما اكتشفوا أن لغتهم العربية قادرة على التعبير عن هذه المصطلحات بألفاظ عربية خالصة، فتركوا الألفاظ السابقة وقالوا عنها بالترتيب: التحليل والمغالطة والمقولات العشرة.

عيوب حركة الترجمة:

لاشك أن حركة الترجمة الأولى قد كان لها كثير من المحاسن والنتائج العلمية التى أثرت الفكر الإسلامي بصفة خاصة والإنسانى بصفة عامة، وسوف نذكر هذه المحاسن فيما بعد غير أن اهتمامنا بالمحاسن والمميزات لاينبغى أن يجعلنا نتناسى العيوب والأخطاء حتى نستفيد من هذه العيوب، ونحاول أن نتلافاها في حركة التعريب التى ننشدها.

ولقد كان أمراً طبيعياً أن تقع بعض العيوب في بعض الكتب المترجمة وخصوصاً أن الرجوع إلى الأصل لم يكن ميسورا، لذلك وقعت بعض الأخطاء في النقل إلى اللغة العربية ربما ظهر أثرها بصورة أوضح في مجال الفلسفة حيث خلط بعض المترجمين السريانيين بين فلسفة أفلاطون وفلسفة أرسطو، ونسبوا كتباً إلى غير أصحابها مثل كتاب الربوبية الذى نسب خطأ إلى أرسطو وكذلك كتاب التفاحة وغيره من الكتب التى عرفت بالكتب المنحولة والتى أوقعت بعض فلاسفة الإسلام في أخطاء كثيرة(١٤).

وترجع هذه الأخطاء إلى الأسباب التالية:

١- أن بعض النقلة كانوا من غير الفنيين المختصين بالفن الذى ينقلونه، كأن ينقل الطبيب مثلاً كتباً في الفلسفة أو الأدب فكان إذا أشكل عليه نص عمد الى حذفه أو استعاض عنه بقول فيلسوف آخر، أو حاك الثغرة بين

(١٤) راجع ص ١٥٩ من «في الفلسفة الإسلامية وصلتها باليونانية» د. عوض الله حجازى.

سابق النص ولاحقه بنص من اجتهاده ونسج خياله.

٢- يضاف إلى ذلك أن بعض النقلة كانوا على أديانهم القديمة فكانوا يحرفون النصوص ويبدلونها بما يخدم عقائدهم ومذاهبهم، لذلك اضطر بعض الأمراء العباسيين إلى تكليف بعض المترجمين المأمونين بإعادة ترجمة بعض الكتب المعربة وذلك امعانا في الدقة من أجل الوصول إلى أدق صورة للنص المعرب.

نتائج حركة الترجمة:

نستطيع أن نحكم على محاسن حركة الترجمة من خلال ما أثمرته تلك الحركة في تاريخ العلم والتراث الإنسانى.

ذلك أن المترجمين وخاصة العرب منهم - لم يقف عملهم عند حد الترجمة بل كانت لهم أعمال علمية أخرى أفرزتها حركة الترجمة ومنها:

- قيام بعضهم بعمل شروح وتصحيحات وتعقيبات على النصوص المترجمة.

- كانت لهم ابتكاراتهم الخاصة في ميادين العلم المختلفة من الرياضيات والطبيعيات والفلك والجغرافيا والكيمياء والفلسفة وغير ذلك من العلوم، وهذا ما يشير إليه ابن خلدون في مقدمته وهو يتحدث عن جهود المأمون في حركة الترجمة فيقول: «فأوفد الرسل على ملوك الروم في إستخراج علوم اليونان وانتساخها بالخط العربى، وبعث المترجمين لذلك فأوعى منه واستوعب، وعكف عليها النظار من أهل الإسلام، وحذقوا في فنونها وانتهت إلى الغاية أنظارهم فيها، وخالفوا كثيرا من آراء المعلم الأول واختصوه بالرد والقبول لوقوف الشهرة عنده، ودونوا في ذلك الدواوين، وأربوا على من تقدمهم في

هذه العلوم»[١٥] ومن النتائج الهامة التى تمخضت عنها حركة الترجمة أن عكف بعض الباحثين في اللغة والأدب على تصنيف الكتب التى تبين مصادر الكلمات غير العربية التى دخلت إلى العربية نتيجة لحركة التعريب وراحوا يفرقون بين الكلمة العربية الأصيلة وبين الكلمة الدخيلة والمعربة.

يقول الجواليقى وهو أحد الباحثين في هذا الموضوع في مقدمة كتابه ما نصه «هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمى، ونطق به القرآن المجيد، وورد في أخبار الرسول والصحابة والتابعين وذكرته العرب في أشعارها وأخبارها، ليعرف الدخيل من الصريح، ففي معرفة ذلك فائدة جليلة وهى أن يحترس المشتق فلا يجعل شيئا من لغة العرب لشيء من لغة العجم»[١٦].

وهكذا أدت حركة الترجمة للفكر العربى خدمات جليلة – غير نقل الكتب – فرغبة المسلمين في نشر المعرفة حملتهم على تأليف الكتب في موضوعات مختلفة كالطب والطبيعيات والفلك والرياضيات، وكانت هذه الكتب التى أطلق عليها أصحابها تواضعاً اسم المقدمات هى أول شعاع أضاء الدراسات العلمية في العالم الإسلامي، ثم انتقل المسلمون بعد ذلك إلى نتائج أكثر إيجابية حيث أبدعوا في كثير من العلوم المترجمة وكانت لهم مؤلفاتهم ونظرياتهم الخاصة التى اختلفوا فيها مع أصحاب النظريات المترجمة.

وبمعنى آخر فالمسلمون لم يقفوا عند حدود التعريب بل خطوا خطوات أخرى نحو الابتكار والاستقلال الفكرى.

وهذا أمر طبيعى، فدور النقل والاقتباس دائما متقدم في تاريخ الحضارة على دور الابتكار والإبداع.

---

(١٥) المقدمة: ص ٨٩٣ ط. بيروت – دار الكتاب اللبنانى.

(١٦) راجع ص ٣٤٧ من حضارة العرب – جوستاف لوبون

هذا ما حدث في تاريخ الترجمة العربية، هذا ما حدث أيضاً في عصر النهضة في أوربا فهو لم يبدأ إلا بعد اطلاعهم على تراث المسلمين بعد ترجمته إلى لغاتهم، ولكن قيمة الحضارة لاتقاس بما جمعته من آثار الحضارات السابقة أو اللاحقة، بل تقاس بما أضافته إلى تاريخ الإنسانية من آثار جديدة.

يقول جوستاف لوبون: «منح اعتماد العرب على التجربة مؤلفاتهم دقة وإبداعا بما لاينتظر مثلهما من رجل تعود درس الحوادث في الكتب، ونشأ عن منهج العرب التجريبى وصولهم إلى اكتشافات مهمة»(١٧).

كما يقول فون كريمر: «أن أعظم نشاط فكرى قام به العرب يبدو جلياً في حقل المعرفة التجريبى»(١٨).

وفي هذا المعنى يقول بريفولت:

«فمن المحتمل جدا أنه لو لم يكن العرب لما ظهرت الحضارة الأوربية الحديثة أبداً ولكنه مؤكد حتما أنه لولاهم لما اتصفت أوربا بتلك الصفة التى مكنتهم من التفوق .. وما نسميه الآن العلم الذى ظهر في أوربا كنتيجة لروح التحقيق وللأساليب الجديدة للبحث، ولطرق التجربة والملاحظة والقياس، ولنشوء العلوم الرياضية كان بحالة حقيقية غير معلوم لليونان أن تلك الروح والأساليب أدخلت في العالم الأوربي عن طريق العرب أثر الثقافة الإسلامية»(١٩).

إن ما حققه العرب نتيجة لحركة الترجمة لم تستطيع أن تحققه شعوب أخرى كثيرة ترجمت تراث الإغريقيين من قبل العرب، فلقد ورثت بيزنطة

---

(١٧) راجع ص ٣٤٧ من حضاره العرب – جوستاف لوبون.

(١٨) د. على أحمد الشحات – أبو الريحان البيرونى – ص ١٢ – القاهرة ١٩٦٨م.

(١٩) أثر الثقافة الإسلامية في تكوين الإنسانية ص ١١٢.

تراث الإغريقيين، ولكنها بقيت على جهالتا ولم تستفد منه شيئاً، ونقل السريان تلك الثقافة، وترجمها الفرس إلى لغتهم ولكنهم جميعاً فشلوا في استثمار وتطوير ما نقلوه ولم تزدهر لهم حضارة علمية كما حدث للعرب، بل إن فارس قد نقلت بالإضافة إلى حضارة اليونان، حضارة الهنود والصين وبرغم ذلك لم تصبح حضارة مبتكرة، ولم تؤثر في التاريخ الإنسانى - كما أثر المسلمون بابتكارهم للحضارة الإسلامية.

ولم يأت خلفاء الإغريق على عرش الحضارة من بيزنطة أو سورية أو فارس، بل أتى سادة الحضارة الجدد من قلب الصحراء الجدباء ليتبوأوا مركز الزعامة بين حضارات العالم بلا منازع مدة ثمانية قرون، تقول سجريد هونكة: «ولو لم يخلق أبناء الصحراء في زمن وجيز من هذه البقية الباقية من بصيص النور الواهن المشرف على نهايته شعلة وضاءة لأدركت تلك الحضارات نهايتها الحتمية، ولو لم يبعث الشعب العربى الموهوب في حضارات المتوسط روحاً جديدة لاندثرت تلك الحضارات تماما»[٢٠].

تلك بعض شهادات المفكرين الغربيين على أن المسلمين لم يقفوا عند حدود الترجمة والتعريب، وإنما انتقلوا بعدها إلى مرحلة الإبداع والابتكار في شتى مناحى المعرفة - علمية كانت أو فلسفية، فانتقلوا من مرحلة التعريب إلى التأليف ومن مجرد النقل الحرفى إلى الاجتهاد والبحث والاستقصاء[٢١].

وهذا هو ما تتعلق به آمالنا المرجوة من حركة التعريب الحديثة، إننا لانريد أن نقف عند حد النقل من اللغات الأجنبية فقط، بل نريد لهذا النقل أن يفتق عقول أبنائنا حين يفكرون بلغتهم ويكتبون بلغتهم مما يجعلهم يأخذون

---

(٢٠) شمس العرب ص ٣٥٤.

(٢١) راجع ص ٣٠٥ من كتاب «من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية» د. محمد عبد الرحمن مرحبا - وقارن ص ١١١ من تاريخ الفلسفة العربية - د. جميل صليبا.

زمام المبادرة في التأليف والإبداع بهذه اللغة المعطاءة. ذلك أن أعداء الإسلام يحاولون التشكيك في قدرة اللغة العربية على استيعاب العلوم الحديثة وقد تناسوا أن المسلمين الأوائل قد وضعوا أبحاثهم العلمية التجريبية ونظرياتهم الطبيعية والفلكية والجغرافية بنفس اللغة التى يدعى أنها عاجزة عن مسايرة التقدم العلمى.

ألا فليعد هؤلاء إلى أفكار ابن النفيس وابن سينا والرازى وغيرهم لكى يشاهدوا بأنفسهم هل استطاعت اللغة العربية الفصحى أن تعبر عن لغة العلم أو أن هؤلاء العلماء قد استعاروا لغة أخرى للتعبير عن ذلك!!! نعم لقد واجه المترجمون حينذاك العديد من أسماء الأعيان والمعانى التى لم تكن اللغة العربية تشتمل عليها، ولا سيما في ميدان الفلسفة والعلوم فلم يثنهم ذلك عن القصد، ذلك أن اللغة العربية أفسحت صدرها للألفاظ الجديدة تعريباً حينا، وفاضت من داخلها توليداً واشتقاقاً ومجازاً ونحتاً بالعديد من الألفاظ التى أوجدها المترجمون، واصطلحوا عليها أحيانا، فلم تبق لغة الشعر والنثر والعلوم الإسلامية فحسب بل صارت لغة الفلسفة والطب والهندسة والكيمياء والحساب وغير ذلك من صنوف المعارف.

إن الحضارة صرح يبنى، والبناء الماهر هو الذى يتغلب على العقبات ويخلق مواد البناء والمترجم البارع هو بناء يشيد صرح الثقافة فيبحث بلا كلل عن الألفاظ يستولدها من لغته، أو ياخذها من لغة أخرى لكى يسمى المسميات ويعبر عن المعانى فيحقق الغاية التى يصبو إليها.

لقد ألحت الترجمة في تلك الحقبة من الزمن كيما تكون اللغة العربية لغة علم فكانت.

وها نحن اليوم على مشارف القرن الواحد والعشرين نعيش مرحلة مماثلة لتلك التى عاشها أجدادنا في القرن الثانى الهجرى، نجد في طلب

المعرفة والعلم – والترجمة هى وسيلة النقل إلى لساننا من لغات الشعوب الأخرى التى أحرزت السبق والتقدم في الميدان التكنولوجى، وسيكون الحال إذا ما صح منا العزم أن تصبح لغتنا العربية لغة العلم في المستقبل القريب.

إن اللغة العربية لم تقصر عن استيعاب العلم في الماضى ولن تقصر عن استيعاب العلم اليوم لما أوتيت من خصب وغنى وقدرة على التوليد والاشتقاق... ولكننا نحن الذين نقصر في درسها والتعمق فيها والكشف عن كنوزها[٢٢].

فوائد حركة التعريب:

لقد كان لحركة الترجمة والتعريب كثير من الفوائد الهامة منها:

١– إن التعريب ليس عملاً لغوياً خالصاً، إذا أنه يشمل بناء الإنسان بناءاً سوياً سليماً بتعميق وعيه بتراثه، وتصحيح نظرته إلى العالم من موقع الثقة في النفس والاعتزاز بلغة الأمة، ولذا فإن هذا العمل يعد عملاً تنموياً رفعياً.

٢– إن التعريب هو طريق الكشف والإبداع، ذلك أن تقبل المعرفة باللغة الأم أدعى إلى استيعابها بالنسبة للفرد، وأدنى إلى توطنها بالنسبة للأمة، وهذان هما الشرطان الضروريان كظهور مبدعين في مختلف مجالات المعرفة، في العلوم والفنون والآداب.

٣– التعريب يعد انفتاحاً على الحضارة العالمية من موقع متميز، ولا سيما جانب الثقافة العلمية والتكنولوجية منها، وليس انغلاقاً دون ما يبدعه الفكر البشرى، ويدون باللغات الأجنبية.

---

(٢٢) راجع ص ٢١ من كتاب «دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب» – شحادة الخورى.

إن الترجمة وسيلة من وسائل التعريب وليست تعريباً، إنه أبعد مدى من الترجمة، فالترجمة نقل والتعريب تمثل – الترجمة ازدياد كمى – والتعريب ازدياد كيفى – الترجمة إضافة والتعريب تفاعل يتيح نقل المجتمع من مجتمع مستهلك للثقافة إلى مجتمع منتج ومبدع في الحضارة الإنسانية على أساس المشاركة لا المماثلة والمحاكاة.

٤ – التعريب جهد لغوى وثقافى يترك آثاره الواضحة على جميع الأصعدة الوطنية والقومية والاجتماعية حيث يوجد بين الجميع على أساس من الرباط القوى ويربطهم جميعا بقناة اللغة العربية[٢٣].

٥– إن التعريب محاولة جادة لاستعادة الهوية العربية التى عمل الاستعمار على سلبها.

٦– وهو عمل على التوحد والتكاتف بعد التشرذم الذى خلفته الظروف السياسية العالمية للقضاء على وحدة الأمة العربية.

٧– وهو تطلع إلى القضاء على التخلف بكل مظاهره، والتخلص من الدور الذى رسم للعرب ليكونوا مستهلكين للتكنولوجيا لامنتجين لها.

٨– إنه إرادة لاتلين للتخلص من رواسب الماضى القريب الذى فرض فيه على أبناء الأمة الإسلامية تلقى المعارف بلغات غير لغتهم بحجة قصور تلك اللغة وعدم صلاحها إلا لمجالات الأدب والفكر النظرى[٢٤].

---

(٢٣) المرجع السابق ص ١٧٠.

(٢٤) راجع ندوة – التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربى والوحدة العربية ص ١٤ – نشر مركز دراسات الوحدة العربية.